الباب الرابع

نظرية يوسف القرضاوى وتحليليتها

الفصل الأول : نظريته عن تأويل الأيات المتشابهات

المبحث الأول : تعريف التأويل عند يوسف القرضاوى

قال الشيخ يوسف القرضاوى : لا تأويل إلا بدليل أى ألا يحدث ذلك إلا بدليل أو بقرينة توجب صرفه عن المعنى الأصلى، وإلا بطلت الثقة باللغة ومهمتها، فإذا وجدنا الدليل أو القرينة صرفنا اللفظ من الصريح إلى الكناية، ومن الحقيقة إلى المجاز.[1]

نجد ذلك التعبير فى القران الكريم بالكناية مثل قوله تعالى : أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا. فالغائط هو : المكان المطمئن من الأرض، كنى بالمجيء منه عن التغط، وهو الحديث الأصغار.

وأما قوله : أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ، فقد كنى به عن الحديث الأكبر، كما قال ترجمان القران ابن عباس : هو الجماع، وقال الفقيه التابعى الجليل سعيد بن جبير : ذكروا

[1] يوسف القرضاوى, *كيف نتعمل مع القران العظيم*, (قاهرة : دار الشروق, سنة 1999). 284

اللمس فقال ناس من الموالى : ليس بالجماع، وقال ناس من العرب : اللمس الجماع : قال : فأتيت ابن عباس فقلت له : إن أناسا من الموالى والعرب اختلفوا فى (اللمس) فقالت الموالى : ليس بالجماع، وقالت العرب : الجماع. قال ابن عباس : فمن أي الفريقين كنت ؟ قال : كنت من الموالى، قال : غلب فريق الموالى، إن اللمس والمس والمباشرة : الجماع، ولكن الله يكني ماشاء بما شاء.[2]

ومن الصحابة والتابعين من أدخل مقدمات الجماع فى معنى اللمس والمس، مثل القبلة والجس باليد ونحوهما. وقد رجح ابن تيمية ما ذهب إليه ابن عباس من أن اللمس كناية عن الجماع. ولكنه لم يسم ذالك مجازا، ولم يعتبره تأويلا. والنتيجة واحدة. إذن التأويل هو مقبول إذا دل عليه دليل صحيح من اللغة أو من الشرع أو من العقل مردود مهمايكن قائله.

ثم نظر بعض العلماء عن تأويل يوسف القرضاوى أنه يقدم شرطين فى التأويل يعنى لا تأويل إلا بدليل وقرينة، وهذه العبارة موافق مع ضوابط التأويل عند العلماء يعنى لا بد للتأويل أن يقوم دليل راجح على هذا الصرف (التأويل)،[3] وكذلك كما قال الزرقان عن طريق الفهم من التأويل "أن صرف اللفظ عن معناه

---

[2] نفس المراجع. 285

[3] نفس المراجع. 286

الراجح إلى معنى مرجوح بدليل لفظي في المسائل الأصولية الاعتقادية ولا يجوز صرفه إلا بواسطة قيام الدليل القطعي العقلي على أن المعنى الراجح محال عقلا وإذا عرف المكلف أنه ليس مراد الله تعالى فعند ذلك لا يحتاج إلى أن يعرف أن ذلك المرجوح ما هو لأن طريقه إلى تعيينه إنما يكون بترجيح مجاز على مجاز وبترجيح تأويل على تأويل وذلك الترجيح لا يكون إلا بالدلائل اللفظية وهي لا تفيد إلا الظن والتعويل عليها في المسائل القطعية لا يفيد لذا كان مذهب السلف عدم الخوض في تعيين التأويل في المتشابه بعد اعتقاد أن ظاهر اللفظ محال لقيام الأدلة العقلية القطعية على ذلك".[4]

المبحث الثانى : مجال التأويل عند يوسف القرضاوى

ونجد التاويل يمكن أن يدخل فى الفقه والفروع، ولا خلاف فى ذلك، كما قال الشوكانى. ويمكن أن يدخل فى العقائد وأصول الدين وصفات البارى عز وجل. وفى ذالك اتجاهات أو مذاهب الثالثة، ذكر الإمام الشوكان فى (إرشاد الفحول) خلاصة وافية لها، نشير إليها هنا :

[4] الزرقان، *مناهل العرفان فى علوم القران*، (القاهرة : دار الفكر للطبعة والنشر والتوزيع، بدون السنة).

الأول : أن لا يدخل التأويل فيها، بل تجرى على ظاهرها ولا يؤول شيء منها، وهذا قول المشبهة.

الثانى : أن لها تأويلا، ولكنا نمسك عنه، مع تنزيه اعتقادنا عن التشبيه والتعطيل، بقوله تعالى : وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ، قال ابن برهان : وهذا قول السلف. قال الشوكانى : وكفى بالسلف الصالح قدوة لمن اراد الاقتداء، وأسوة لمن أحب التأسي.

الثالث : أنها مؤولة. قال ابن برهان : والاول فى هذه المذاهب باطل. والآخران منقولان عن الصحابة، ونقل المذاهب الثالث عن على وابن مسعود وابن عباس وأم سلمة.

وقال الشوكانى عن إمام الحرامين والغزالى والرازى ما يفيد عودتهم إلى مذهب السلف ثم قال : وهؤلاء الثلاثة هم الذين وسعوا دائرة التأويل وطولوا ذيوله قد رجعوا آخرا إلى مذهب السلف كما عرفت، فلله الحمد كما هو أهل له.

وحكى الزركشى عن ابن دقيق العبد أنه قال : "ونقول فى الألفاظ المشكلة : إنها حق وصدق، وعلى الوجه الذى أراده الله. ومن أول شيئا منها فإن كان تأويله قريبا

على ما يقتضيه لسان العرب، وتفهمه فى مخاطباتها، لم ننكر عليه ولم نبدعه. وإن كان تأويله بعيدا توقفنا عنه واستبعدناه، ورجعنا إلى القاعدة فى الإيمان بمعناه مع التنزيه.[5]

وقد تقدمه إلى مثل هذا ابن عبد السلام، وقال الشوكانى : والكلام فى هذا يطول، لما فيه من كثرة النقول، عن الأئمة الفحول.

المبحث الثالث : اهتمام العلماء بضوابط التأويل

لهذا كان من أشد ما تتعرض له النصوص خطرا : سوء التأويل لها : بمعنى أن تفسر تفسيرا يخرجها عما أراد الله تعالى ورسوله بها، إلى معان آخر، يريدها المؤولون لها. وقد تكون هذه المعانى صحيحة فى نفسها، ولكن هذه النصوص لا تدل عليها. وقد تكون المعانى فاسدة فى ذاتها، وأيضا لاتدل النصوص عليها، فيكون الفساد فى الدليل والمدلول معا.

[5] نفس المراجع فى الصفحة 288

وقضية (التأويل) قضية كبيرة تعرض لها علماء الأصول، وأوسعوها بحثا- على اختلاف مشاربهم ومدارسهم-وشاركهم فى هذا علماء الكلام والتفسير. والمراد بالتأويل : هنا معناه الإصطلاحى، وهو : صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى مرجوح يحتمله، لدليل يصيره راجحا، وهذا هو التأويل الصحيح المقبول.

ولا بد أن يقوم دليل راجح على هذا الصرف، وإن كان اللفظ يحتمله، لأن ترك الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لا يجوز بدليل. وإلا لقال كل من شاء ما شاء، و ابطل كل زائغ أدلة الشرع الواضحة بلا برهان متذرعا بعنوان التأويل.

ومعنى هذا : أن التأويل لا يجوز لكل من هب ودب، ولا يجوز بلا قيد ولا شرط، كما يتوهم الجاهلون والمتلاعبون. قال ابن برهان : وهذا الباب أنفع كتب الأصول وأجلها،ولم يزل الشيء إلا بالتأويل الفاسد. وقد تحدث الأصوليون عن معنى التأويل ومجاله وشروطه، وأنواعه، وأفاضوا. ولا مجال فى هذا المقام للخوض فى هذا الميدان الرحب، إنما نكتفى ببعض الإشارات والتنبيهات والأمثلة النافعة فى بحثنا هذا.[6]

[6] يوسف القرضاوى, *كيف نتعمل مع القران العظيم*, (قاهرة : دار الشروق, سنة 1999). 286

وللظاهرية موقف من موضوع التأويل، فهم يرفضون التأويل إذا لم يدل عليه نص من كتاب، أو السنة، أو إجماع، تأسيسا على مذهبهم فى الأخد بظواهر النصوص فهي عندهم وافية بكل شيء. كما قال مؤسس المذهب داود بن على (ت 280 هـ) وأكده أبو محمد ابن حزم (ت 456 هـ) الذى أحيا الذهب بعد موات. وفى مقابل الظاهرية الذين يماثلون جانب التفريط–بل الجمود–فى التأويل، نجد طوائف أخرى تمثل جانب الإفراط، بل التسيب فى التأويل. ومما لاشك فيه أن الأصل هو حمل الكلام على معناه الظاهر، إذ هو تدل عليه اللغة بأصل وضعها، زما يفهم من اللفظ لأول وهلة، فلا يجوز العدول عن هذا الظاهر إلى غيره لدليل يصرف عن ذالك. وهذا ما أشير إليه فى تعريف التأويل.[7]

المبحث الرابع : لجوء علماء المسلمين كافة إلى التأويل

ولا توجد مدرسة من المدارس الإسلامية–فى الكلام أو الفقه أو الأثر أو التصوف– إلا لجأت إلى التأويل، وإن تفاوتوا فى ذلك تفاوتا كثيرا، منهم من وسع، ومنهم من ضيق. منهم من قرب فى تأويله، ومنهم من بعد، حتى خرج من العقل

[7] نفس المراجع فى الصفحة. 287

والشرع. والمهم أن التأويل لابد منه، لأنه يوجبه العقل، والشرع، وقد توجبه اللغة، ومن رفض ذلك شرد عن الصواب، وسقط فى هوة الخطا، كما فعل الظاهرية.

وأكثر ما يلجأ العلماء فى التأويل، لوجود مخالف النصوص بعضها مع بعض، ولا يضرب بعضها بعضا. ومن هنا أوولوا قوله عليه الصلاة والسلام : "لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض"[8]، وقوله : "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر"[9]، بأن المراد بالكفر هنا : الكفر الأصغر، كفر النعمة أو كفر المعصية، لا احد الكفر الأكبر المخرج من الملة، وإنما سمي كفرا، لما فيه من التشبيه بكفر الجاهلية الذين كانوا يقاتل بعضهم بعضا، ويضرب بعضهم وجوه بعض.

وسبب هذا التأويل : أن القران أثبت الإيمان للمقتتلين من المسلمين، وأبقى عليهم وصف الأخوة الإينية، وأوجب الصلح بينهم، فقال : (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا) إلى أن قال : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ). (الحجرات: 9،10)

[8] متفق عليه عن جرير, وعن ابن عمر : أنظر فى كتاب اللؤلؤ والمرجان (45,44)

[9] متفق عليه عن ابن مسعود : نفسه (43)

ومثل ذالك : تأويل "الإيمان"فى بعض النصوص، (الإيمان الكامل)، كما فى قوله تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (الأنفال 2-3) فالمراد بالمؤمنين فى الآية الكاملون الإيمان ولدا قال: (أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا). وكذالك قوله : (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ). (المؤمن: 1-3)

وقوله تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ). (الحجرات: 15)

كقوله صلى الله عليه وسلم : "لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن."[10] وقوله : "لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه."[11] وقوله : "والله لايؤمن، والله لا يؤمن....من لا يأمن جاره بوائقه."[12] فقد أولها العلماء بأن الإيمان المنفى هنا : هو الإيمان الكامل، لا أصل الإيمان. كما يقال : لا مال إلا ما نفع، ولا علم إلا ما أدى إلى العمل، والمراد نفي الكمال. وإنما أول العلماء ذلك، لأن ثمة نصوصا أخرى وافرة،

[10] متفق عليه عن أبى هريرة : اللؤلؤ والمرجان (26)
[11] متفق عليه عن أنس : نفسه (28)
[12] رواه البخارى عن أبى شريح, كتاب الأدب ج 10 رقم 6016

دلت على إيمان أهل المعصية، وأن مركتب المعصية–ولو كانت كبيرة– لم يخرج من دائرة الإيمان. وذالك مثل النصوص التى بينت أن من مات على (لا اله إلا الله)[13] دخل الجنة.

وقوله صلى الله عليه وسلم لمن لعن الذى شرب الخمر من الصحابة وضرب أكثر من مرة : "لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله،"[14] أو لا تكونوا عونا للشيطان على أخيكم."[15] فدل على أن أخوته باقية رغم معصيته، وأن حب الله ورسوله مستقر فى قلبه، وإن زلت قدمه إلى الوقوع فى أم الخبائث.

وكذلك لو كان بالزنا والشرب والسرقة يكفر ويخرج من الإيمان، لكانت عقوبته عقوبة الردة، وهى عقوبة واحدة، فلا معنى لأن يعاقب الزانى والشارب بالجلد، والسارق بالقطع.

ثم إذا كنا نستطيع نظر الإنتباه إلى بعض من مؤلفات يوسف القرضاوى مثلا : عما يتعلق بضوابط ومحاذير فى الفهم والتفسير بأيات القران العظيم، سوف نجد

[13] متفق عليه عن أبى ذار, كما فى اللؤلؤ والمرجان رقم 60
[14] رواه البخارى عن عمر بن الخطاب, كتاب الحدود ج 12 رقم 6780
[15] رواه البخارى عن أبى هريرة, كتاب الحدود ج 12 رقم 6781

مؤشرة على تفكير الشخص هو الإمام حسن البنا، يصف القرضاوى فى كتابه أن يلتخص بعض الأفكار للحسن البنا فى كتابه المشهور " الأصول العشرين".[16]

ويكون حسن البنا إماما عظيما عند القرضاوى خاصة فى الأدعية وبعض أفكاره لذالك أن كل الأفكار والنظريات للقرضاوى سوف يؤثر الأفكار من حسن البنا الذى يدرس ويطلع كثيرا من المذهب المعتزلة والسلفية.

الفصل الثانى : عملية النظرية لإمام يوسف القرضاوى

المبحث الأول : خصائص النظرية

1. تجنب عن التأويل

قدم يوسف القرضاوى بالنقد على بعض النظرية المفرطة من أهل الفلسفة والباطنية عن التأويل كالعقيدة الإلهية (تتعلق بصفات الله عز وجل وصفات)، والأخبار الغيبيات (تتعلق بيوم القيامة)، والسمعيات. بل هم يظنون أن جميع الأية من أيات القران تستخدم العقل وإذا كان ظاهر اللفظ معارض العقول فيصرفه إلى المجاز والكناية.

[16] عبد الله بن قاسم الوشلى ، *الأصول العشرين*، (القاهرة، مكتبة وهبة بدون السنة)

وقصد الفيلسوف فى هذا الأمر أن يجمع كلاهما بين الفلسفة والدينية أى أن يجعل الفلسفة مقرا لها وتحول الدين إلى فروع. فقال الفيلسوف أن قول أرسطو يعتبر كمرجع في حين وأما كلام الله وسنة ورسوله متابع إليه، وإذا لم يكن هناك مناسب منهما فهم يحاولون بالتأويل قريبا كان أم بعيدا.[17]

وكذالك نقد القرضاوى على نظرية اهل الباطنية، فقال : يجوز للتأويل إذا كان ظاهر الأية لا تستطيع أن تفهم فهما جيدا، ولكنهم يحاولون التأويل بالإفراط يعنى كأنهم يؤولون أيات المحكمات التى قد وضح معانيه من نفس الأية، وهكذا تعبيرهم فى تأويل القران من خلال الفراق الدينية.[18]

وأما الذى يحولون التأويل بالإفراط يعنى مما نأسف له : ما وقع من تكلف واعتساف فى التأويل، لبعض المفسرين المعصرين، مثل صاحب (تفسير المراغى). فقد ذكر فى تفسير قوله تعالى : إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ. وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ. لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ. إِلا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ. (الصفات 1-10).

---

[17] يوسف القرضاوى, *كيف نتعمل مع القران العظيم*, (قاهرة : دار الشروق, سنة 1999). 333

[18] نفس المراجع. 321

كلاما متكلفا، بعيدا عن المتبادر، ولا دليل عليه من الشرع ولا عقل، ولا عرف. يقول عفا الله عنا وعنه :

(إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ) : أى جعلنا الكواكب زينة فى السماء القريبة منكم بما لها من البهجة والجمال، وتناسب الأشكال وحسن الأوضاع، ولاسيما لدى الدارسين لنظامه، المفكرين فى حسابها، إذ يرون أن السيارات منها المتناسبة المسافات، بحيث يكون كل سيار بعيدا من الشمس ضفع بعد الكواكب الذى قبله.

(وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ) : أى حفظنا السماء أن يطاول لدرك جمالها، وفهم محاسن نظامها، الجهال والشياطين المتمردون من الجن والإنس، لأنهم غافلون عن أياتنا، معرضون عن التفكير فى عظمتها، فالعيون مفتحة، ولكن لا تبصر الجمال، ولا تفكر فيه، حتى تعتبر بما فيه.

(لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى) : أى إن كثيرا من أولئك الجهال والشياطين محبوسون فى هذه الأرض، غائبة أبصارهم عن الملإ الأعلى، لايفهمون رموز هذه

الأية وعجائبها، ولاترقى نفوسهم إلى التطلع إلى تلك العوالم العليا، والتأمل فى إدراك أسرارها، والبحث فى سر عظمتها.[19]

(وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. دُحُورًا) : أى وقد قدفتهم شهواتهم وطردتهم من كل جانب، فهم تائهون فى سكراتهم، تتخطفهم الأهواء والمطامع والعداوات والإحن، فلا يبصرون ذلك الجمال الذى يشرق للحكماء، ويبهر أنظار العلماء، ويتجلى للنفوس الصافية ويسحرها بعظمته، وهم مازالوا يدأبون على معرفة هذا السر حتى ذاقوا حلاوته، فخروا ركعا سجدا مذهولين من ذلك الجمال والجلال.

(وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ) : أى وألئك لهم عذاب دائم، لتقصيرهم عن البحث فى سر عظمة هذا الكون، والوصول ذلك إلى عظمة خالقه، وبديع قدرته. ثم بين من وفقهم الله وأنعم عليهم ممن ظفروا بالمعرفة فقال :

(إِلا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ) : أى إلا من لا حت له بارقة من ذلك الجمال، وعنت له سانحة منه، فتخطف بصيرته كالشهاب الثاقب، فحن إلى مثلها، وصبت نفسه إلى أختها، وهام بذلك الملكوت العظيم باحثا عن سر عظمته، ومعرفته كنه جماله، وهم من أصطفاهم الله من عباده، وآتاهم الحكمة من

[19] أحمد مصطفى المراغى، تفسير المراغى، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

لدنه، وأيدهم بروح من عنده، وهم من أنبياؤه وأولياؤه الذين أنعم عليهم من الصدقين والشهداء والصالحين.

والخلاصة– أن الدنيا بيت فرشه الأرض، وسقفه السماء، وسراجه الكواكب، والبيوت الرفيعة العماد، العظيمة البناء كما تزين بالأنوار تزين بالنقوش التى تكسبها وبهجة فى عيون الناظرين، ولكن لن يصل إلى إدراك المحاسن إلا الملائكة الصافون، والأنبياء والعلماء المخلصون. أما الجهال والشياطين المتمردون من الجن والإنس، فأولئك عن معرفة محاسنها غافلون. فلقد يعيش المرء منهم ويموت وهو لاهٍ عن درك هذا الجمال، إذ لا ينال العلم إلا عاشقوه، وقد تبدوا لهم أحيانا بارقة من محاسن هذا الجمال، فتخطف بصائرهم كالشهاب الثاقب، فيخطفون منها خطفة يتبعها قَبَس من ذلك النور يضيء، وينير ألبابهم، فيكونون ممن كتب الله لهم السعادة، وقيض لهم التوفيق والهداية، وممن أصطفاهم ربهم برضوانه، والفوز بنعيمه. وهذا ما قال أحمد مصطفى المراغى فى تفسير هذه الأيات. ثم عقب فى الحاشية[20] فقال :

وقد نحونا بهذا نحوا يخالف ما فى كثير من التفاسير، إذا إنهم قالوا : إن خطف الخطفته كان من الشيطان حين أراد أن يسترق السمع، ويأخد أخبار

[20] نفس المراجع

السماء، فأتبعه شهاب ثاقب فأحرقه، ولم يستطع أخذ شيئ منها، وعصم الله وحيه وكتابه.

ورحم الله القرضاوى، فقد أبعد النجعة، وشطح شطحا بعيدا، بعد به عن المنهج القويم. وقد قال الله تعالى على لسان الجن : " وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا. وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا. " (الجن : 8-9) والمعنى واضح كالشمس.

2. تقديم المحكمات من المتشابهات

الآية المحكمة هي آية التى مما يمكن يعرف معنها إما عن طريق التأويل أم لا، وأما الية المشتبهات هي آية التى لا يعرفها سوى الله سبحانه وتعالى، ويحتوي على العديد من المعاني الجانبية المحتملة الأخرى، كمثل الآية التى تدل على يوم القيامة، والإفراج عن الدجال وقطع من الحروف في فواتح السوار[21] يسمى " الحروف المقطعة " ثم تنقسم المتشابهات على قسمين : المتشابهات فى اللفظ والمتشابهات فى المعنى، والمتشابهات فى المعنى نوعان :

[21] *Ulum Al-Qur'an dan Pembelajaran* لياليك وشيفول هداية, (كوفرتيس, سورابايا2011).269

1. الغموض فى اللفظ المفردة يعنى اللفظ الذى لا يوضح معنه بسبب المعنى الأجنبى أو المعنى المشترك كقوله تعالى " وَفَاكِهَةً وَأَبًّا " (عبس : 31) وكلمة فواكه هي من الثمرات وأما كلمة أبا ما تستخدمه فى اللغة العربية لذلك كان غريبا، ثم لفهم كلمة أبا فنستخدم آية تليها " مَتَاعًا لَكُمْ وَلأنْعَامِكُمْ " (عبس : 32) فبهذه العبارة نأخذ المفاهم أن كلمة أبا على وهو أعشاب أى إطعام الأنعام.

2. الغموض فى اللفظ المركب يعنى يمكن أن يحدث الغموض فيه بسبب لفظه قصير ولا ترتيب وكذلك معنه واسع جدا.

وهذا الغموض يحدث فى أيات القران خاصة أيات تدل على صفات الله مثل : "الرحمن والرحيم". وليس غموضه أجنبية فقط. بل لأن العقل البشر حدود للوصول إلى هذه المعانى.[22]

ومن جانب ذلك أن المتشابهات لها معان كثيرة منهم من يقول أنها قد تكون سواء مع الآية الأخرى فى القران الكيم، ولا يقوم نفسه بمعان معين تدل عليها لذلك يحتاج إلى حقيقة المفاهم والراسخون فى العلم كقوله تعالى : " وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ

[22] نفس المراجع. 270-275

وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا" (ال عمران : 7). ثم تنقسم المتشابهات على ثلاثة أقسام :

1. المتشابه الذى لا يعلمه إلا الله، كمثل وقوعة يوم القيامة، وتخرج البهائم من الأرض.
2. المتشابه الذى يمكنه بالمعروف والمفاهم، كمثل الألفاظ الأجنبية، وأحكام غامض.
3. والمتشابه الذى يمكن أمرين مما أن يستطيع الممفاهمه (الراسخون فى العلم) ومما لا يستطيع مفاهمه، وهذا كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : "اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل".[23]

3. قررات أحكام اللغة

القرآن، له لغته خاصة هي اللغة العربية وينبغى كل ألفاظه تُفسر باستخدام اللغة العربية وفقا للقواعده وبلاغته، لأن فى القران لفظ مجازي له معان متنوعة لذلك هناك ثلاثة قواعد تدل على قررت أحكام اللغة :

[23] يوسف القرضاوى,*القان والسنة* ,(ريان فرس, جاكرتا 1997).223

1. اهتمام العبارة فى لفظ القران عند نزوله

أصبحت اللغة قائمة الإشارة وكما هي معروف الإشارة عند نزول القران الكريم مع عباراتها تدل على الألفاظ التى استعمل فى ذلك عهد فقط، لأن الألفاظ وتركيب الكلمة تناسب مع نشأة الزمان، تنمية العلوم والمعرفة، والتفاعل بين الأمم والحضارات المختلفة. ثم وجب المفسرون أن لا يتموا تعيين المعلقين على أساس المعجمي الجديدة، كمثل كلمة الفقه عند الفقهاء ولا فقه فى القران، وكذلك كلمة الحكمة في القرآن لا حكمة متساوية عند الإمام الغزالي، ثم كلمة "سائحين" كقوله تعالى : " السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ" (التوبة : 112) و كلمة "سائحات" فى آيته : " عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا " (التحريم : 5)

2. اهتمام العبارة فى أيات مخصوصة وحدودة

تعتمد القررة على اللغة وحدها دون اتباع نظري معين فقد تجلب بعض الإنحرافات مثل كلمة سبيل الله فى الآية : إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (التوبة : 60)، وفقا لأساس المعنى منه يشمل جميع أنواع من الطاعة، ثم الزكاة يمكن أن تعطى للأشخاص الذين يعملون

الصلاة، والصيام، والذكر، وقراءة القرآن، ويصدون عن سبيله. بالطبع ليس المقصود هذا، في هذه الحالة يجب أن يكون هناك التخصيص والحد.[24]

3. ورود الشيئ الواحد بألفاظ عدة

وكما أن اللفظ الواحد فى القران قد يرد بعدة معان، يحددها السياق، فإن المعنى الواحد، قد يرد ذلك فى القران معبرا عنه بعدة ألفاظ. وليس هذا من قبيل (الترادف) الذى قد ينازع فيه بعض اللغوين، الذين يرون أن الألفاظ التى تظن أنها مترادفة، وأنها كلها تؤدى معنى واحدا، ليست كذلك عند التأمل مثل قعد وجلس وسر وفرحو غير ذلك.

إنما هو تعبير عن الشيء الواحد، أو المعنى الواحد، بألفاظ مختلفة، لكل منها دلالته الخاصة. فالقران مثلا قد يعبر عنه بلفظ (القران)، وأصل الكلمة مصدر (قراء) كما فى قوله : " فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ " (القيامة : 18) ثم أطلقت على (المقروء) المنزل من عند الله، وهو أمر شائع فى اللغة : أراد بالصدر اسم المفعول الخلق بمعنى الخلوق واللفظ بمعنى الملفوظ كما فى قوله : "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ" (الإسراء : 9). " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلا " (الإنسان : 23). وقد يعبر عنه (الكتاب) كما فى قوله

[24] محمد حسين الذهبي، *التفسير والمفسرون*، جـ 1 (مجهول المدينة: مكتبة مصعب بن عمر الإسلامية، 2004).165

تعالى : " الم . ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ " (البقرة : 1-2).

" الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ " (هود : 1).

وإنما عبر عن القران (الكتاب) لأن يكتب كما يقراء، ولهذا حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على كتابته من أول يوم، وعين كتابا للوحي من أصحابه الثقات المتقنين.

المبحث الثانى : تطبيقه فى تأويل الأيات المتشابهات

تعليم القران هو مواصلة الدراسة لفهم القران عميقا. ويتم تعليم القران على هذه الخطوة من خلال دراسته ومراجعته كثيرا. وينبغى لنا أن نفهم جيدا عما يتعلق بأياته العظيمة أى من أيات القران الكريم حرفيا فقط، بل لا بد علينا أن نفهم كذلك من معانه وتفسيره اكثر من تعاليم العلوم الآخرون.

ولذالك نظر يوسف القرضاوى عن أهمية تعليم وتفهيم أيات القران الكريم بصحيح ولا سيما فى تعريف معانيه وتفاسره حيث يكون تمام العمل اليومي الشرعي الذى يصدر من كلام الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك إذا وجد شيء الذى يشكل الناس فى فهم أياته فنستطيع باستخدام التأويل ولكنه بدليل مقرر كما قال القرضاوى لا

تأويل إلا بدليل أو بقرينة. كما اعتبار البيانات القديمة، له تعريف للتأويل، لا تأويل إلا بدليل أى ألا يحدث ذالك إلا بدليل أو بقرينة توجب صرفه عن المعنى الأصلى، وإلا بطلت الثقة باللغة ومهمتها، فإذا وجدنا الدليل أو القرينة صرفنا اللفظ من الصريح إلى الكناية، ومن الحقيقة إلى المجاز.[25]

ويوسف القرضاوي نفسه ليس شخص المضادة للتأويل بل هو منفتح جدا، ولكن إذا كانت الأية القرانية تستيطع أن نفهم ظاهره فلا بد علينا أن نستعمل معنى ظاهره كذلك لأن كثيرا من الناس لا يسمح أن يؤول القران ولكنه يحتاج من المتعلمين الذين يعمقون علوم التفسير وقواعده. ثم كانت الطوائف الدينية كأنهم يحاولون التأويل فيما يتعلق بقدرة تفاهمهم من آيات القرآن خاصة فى الأيات المشتبهات، فقال يوسف القرضاوى عن هذه الواقعة : هم تماثلون الإفراط، بل التسيب فى التأويل. ومما لاشك فيه أن الأصل هو حمل الكلام على معناه الظاهر، إذ هو تدل عليه اللغة بأصل وضعها، ما يفهم من اللفظ لأول وهلة، فلا يجوز العدول عن هذا الظاهر إلى غيره لدليل يصرف عن ذالك. وهذا ما أشير إليه فى تعريف التأويل.

ثم إذا قراء وطلع بعض المصادر التى ألفها يوسف القرضاوى عما يتعلق بالتأويل، نرى أنه قدم النظر على هذا الموضوع لمقارنة المباحث فى جميع الأقوال المختلفة عن

[25] يوسف القرضاوى, *كيف نتعمل مع القران العظيم*, (قاهرة : دار الشروق, سنة 1999). 284

التأويل، أنه قال : ليس التأويل بصرف اللفظ عن الصريح إلى المجاز فقط بل إنما فينبغى للتأويل أن يعطى بعض المعانى التى تناسب على ما أراد الله ورسوله، فلا بد أن يقوم دليل راجح على هذا الصرف، وإن كان اللفظ يحتمله، لأن ترك الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لا يجوز بدليل. وإلا لقال كل من شاء ما شاء، و ابطل كل زائغ أدلة الشرع الواضحة بلا برهان متذرعا بعنوان التأويل.[26]

فإذا كان الإحتمال غير راجح سوف يكون تأويلا فاسدا لأن التأويل يحتاج إليه ليشرح بعض المعانى والبيان عن معنى الآية التى تدل على شيء مجازي لا يعلمه إلا الله. فنحن كخلوقه سوف يحاولونه بقدر ما استطعنا.

[26] نفس المراجع. 286